الفصل الثاني

المنهجية في طور الواقع

ظلّت منهجية الأدب منذ الفترة الأولى لتدوين المعارف وتصنيف العلوم خاطرة تختلج في صدور الذين أوتوا الذوق والفن والبيان ، دون أن تحكمها معالم محدّدة تنطلق مذهبا يتعارف له الأدباء أسسا ومعايير ، ويعدّه النقّاد اتجاها أدبيا .

والحقّ أنّ عباقرة النقاد العرب أمثال الجاحظ ، وابن قتيبة ، وابن المعتز ، وقدامة بن جعفر ، والآمدي ، وعبد العزيز الجرجاني ، والمرزوقي ، والقاضي عبد الجبار ، وعبد القاهر الجرجاني ، والخفاجي ، والقيرواني ، والقرطاجنّي ، وابن خلدون ، قد خاضوا معارك القديم والجديد ، والتقليد والتجديد ، واللفظ والمعنى ، وعمود الشعر ، والنص البلاغي[1] ، وتوصّلوا إلى مبادرات طيّبة يمكن أن تغدو مقاييس ومواضعات أسوة بسنة الفقهاء ، والعقديّين ، والنحاة ، عندما وضعوا قوانين تحرير المذاهب ، والفرق ، والمدارس ، على قواعد وقوانين ثابتة .

ولم يحدث هذا ، بل إنّ تلك الملامح لم تلبث إلا أمدا يسيرا حتى عادت إلى النفوس خواطر راكدة ، وفي الكتب آحاد غريبة ، وفي الأسفار شواذ شاردة ، فخمدت جذورها ، وخبت نارها ، ولو تهيّأت لها دراسات ثاقبة لنهضت أصولا تتجلى مذاهب ومناهج أدبية ذات قوالب علميّة محدّدة .

وكم من كنوز علميّة اقتضت حكمة الباري أن تدعها في صدر السلف نجيّا

---

(1) دفعتنا عباراتهم ومهارتهم إلى الاعتقاد بأن الأدب الإنساني إذا صحّ تركيبه نصا فلا يغيب ذلك عن البلاغة والنقد.

مسرّا ، فبدت للخلف آياته باهرة واضحة المعالم ، فيتداركها اللاحق لصالح السابق نعمة من البديع جلّ جلاله ، وسنة منه في توزيع مننه على الخلق ، والكون ، والطبيعة ، لتستمر نواميس الحياة في مواكبها على إبداع طرائف وظرائف ، فتقوى الهمم والعزائم ، وتعمّ النعم والعظائم .

وما دام الصّراع متواصلا بين التراث الإسلامي وبين الإلحاد ، فلا بدّ من إيجاد أنماط تمثّل جبهة مقاومة لكلّ تحديات متكرّرة ، وأبرزها تلك الروافد الأجنبية التي لا تزال تحاول دائما بناء شخصيتها على أنقاض الأمجاد الإسلامية متحدية كتاب الله الكريم ، وبيان النبي الشريف ـ ﷺ ـ ، وما يتمّ بهما من بناء الإعلام الدقيق لهدي الورى على ضوء فنّ القول الجميل ، والإبداع الرائع .

وإذا كان الفقهاء والمفكرون والأدباء والأنبياء المخلصون في القديم قد سنّوا للدفاع بالعلم والدين سنة حسنة لمن يتصدّون لهذه الروافد والتحديات تصديا قويا ، وأن يختاروا منها ما يروق ويجود ، وأن يتركوا ما خبث وقبح ، وكانوا في ذروة عالية عند ردودهم المقنعة من العلم والأدب والبيان ، ومهما يكن الأمر ، فإنّ جذوة الثقافة الرافدة لم تخمد نهائيا ، بل ظلّت تتحين فرصة التوقّد والتلهّب كلّما احتكّت بعوامل قويّة ، إذ لا نكاد نصل إلى عصر الركود العلمي الذي مُنِي بالأمة عند نكبة بغداد ، فبلغت السيول الرهيبة منتهاها ، وألحقت بالذوق العربي أضرارا بالغة ، وأخرجته من سماته الأدبية إلى المنطقية الجافة ذات تقسيمات ثقيلة من تعريفات وحدود ، ولعلّ أكبر هذه العوامل المضرة ، تلك الحروب المدمرة من مغولية ، وتتارية ، وصليبية ، واستعمارية ، وقومية في الجبهة الخارجية ، والعصبية والطبقية والإلحاد والهرطقة في الداخلية ولم يلق الأدب وفنونه وقتئذٍ تلك الرعاية المعتادة في عهود المجد والقوة والعزّة ، وظلّ الأمر على حالته حتى العصر الحديث ، فهمّ أولو اليقظة بنهضة الأدب وفنونه همّة عالية ، ولم يجدوا بدا إلاّ في العودة إلى تراث أسلافهم ، يقول علي النجدي ناصف واصفا المرحلة الأولى لهذه الصحوة الأدبية :

ليس لنا فلسفة روحيّة تستند إلى الدّين ، وتستلهم أنظمتها ، ومثلها العليا

منه ، وتقنع الشباب أن يثق بها ، ويعتزم بناء الحياة عليها في الاقتصاد، والتشريع ، والحكم ، والتربية ، والفنون .[1]

ثمّ ظهرت في العصر نفسه بحوث علمية واسعة تهدف إلى معرفة حقيقة الإنسان ، وتحديد سلوكه ، وتفاعله بالعناصر المختلفة ، واصطناع طرق غزو الكون ومعطياته ، وتسخير مناكب الحياة ، وكان العلم بالشيء معرفة حقائقه لغاية اليقين والإتقان في سائر مناحي المعارف ، وكلّ مالم يخضع لهذا السلطان العلمي فهو مناقض للحياة ، فبرز مذهب النشوء والارتقاء الذي طبق تطبيقا واسعا على كثير من الظواهر الاجتماعية ، واحتكرت حق الرفض خمس دول من بين ١٩٣[2] على حين تدّعي وحدة المشاعر ونصر ذوي مأساة الفقر والعيلة والمرض في بقعة من القارات دون الأخرى ، كما نظروا إلى الاستعمار والاستغلال أقدس خطى ، والتديّن والتراحم ضعفا واستكانة ، كما عالجوا قضايا النفس وما ينتابها من درجة الشعور ، واللاشعوري ، وحقائق الذاكرة ، والحافظة ، والخاطرة ، والوراثة ، وتفاعلها بين الطبقات ، وقد أدّى الأمر إلى تقدير الذات الفردية ، ثم انعكست أحداث الاتجاهات السياسية على التيارات الأدبية ، فأصبحت الديمقراطية ، والدكتاتورية ، والاشتراكية ، والديموغوغية تؤثر في فنون الإبداع لحماية حرية الأفراد وحقوقهم .

وكذلك استغلت عوامل اقتصادية ، فعولجت أزمات العلاقات بين الأثرياء والكادحين ، وعلى أثر ذلك انتشر كثير من الاتجاهات الرأسمالية والاشتراكية ، وقد عمّت تلك الأنشطة البشرية في جميع ظواهر الحياة لا سيما الفنّ ، والنقد ، والبيان ، فجرى للأدب العربي ما استجدّ في سابقه الأوربي ، وثمت علّة أخرى في إنشاء منهج الأدب الإسلامي شبيها بما للأدب الأوربي في نشأة مذاهبه ، وذلك عندما رأى الإنسان يحاول محاولات جادة أن يتفادى النزاع بين أجناسه

---

(1) علي النجدي ناصف ، الدين والأخلاق في شعر شوقي (١١، ١٢)

(2) www.un.org 19- 01 – 2015, 9.40am=

المختلفة ، ومع هذا العزم القوي ، فإنّ حبّ السيطرة والاستيلاء ما زال قويا ، بل راعت النفوس صراعات دموية ، وأخيرا أدهشه ما ترتّب من نتيجة حربي الكون حيث لم يفز فيهما المنتصر فوزا ساحقا فضلا عن المنهزم ، فلجأت البشرية إلى إنشاء عصبة الأمم التي ورد في ميثاقها ما يلي :

نحن شعوب الأمم المتحدة ، وقد آلينا على أنفسنا أن ننقذ الأجيال المقبلة من ويلات الحروب التي جلبت على الإنسانية مرتين أحزانا تعجز الوصف ، وأن نؤكد من جديد اعترافنا بالحقوق الإنسانية ، وبكرامة الفرد وقدره ، وما للرجال والنساء من حقوق متساوية ، وأن نهيئ الأحوال التي تعين على تحقيق العدالة واحترام الالتزامات الناشئة عن المعاهدات وغيرها من مصادر القانون الدولي ، وأن ندفع بالرقي الاجتماعي قدما ، وأن نرفع مستوى الحياة في جوّ من الحريّة أفسح[1] .

وعلى الرغم من هذه الجهود المبذولة لتطبيق هذه المقولات بإنصاف وعدالة ورحمة ؛ فإنّ عصبة الأمم لم تلتزم الطرق المثلى لتحقيق هذه المبادئ العظيمة على صورة عادلة ومرضية ، إذ اعتزلت من بين هؤلاء الأعضاء طائفة محتفظة «بحقّ الرفض» ، وهو سلاح أمض في وجوه المعارضة على هوى النفس والانتماء .

ويحدث أبشع من ذلك خارج إرادة هذا المجتمع الدولي ، إذ أنّ سباق التسلّح لم يزل يدقّ نواقيس حروب ، فشاعت روح التنافس الحقير والتربّص الشديد بين المستعمرين على البلاد المغلوبة على أمرها ، وكم تضرّرت أمم ضعيفة تضرّرا كبيراً ، ولم تزل تعيش ويلات مستمرّة ، وأبرز مثال ما ذاقته ألمانية من مرارة الانفصال بين شرقها وغربها ، ولم يتحقق اندماجها إلاّ في سنين قريبة ، بينما ظلّت بقاع عدّة متوزّعة بين شمالية وجنوبية كرها من شعوبها ، ورضى من قوى معتدية .

---

(1) هيئة الأمم المتحدة ، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية ، ص : ٦.

وأمّا العالم الإسلامي الذي يمتدّ من فرغانة إلى غانة[1]، فقد كان أشدّ تضرّرا ولم يلمّ شعثه، فنشأت شيع قومية في ظلّ جامعة الدول العربية والوحدة الأفريقية والآسوية، وهي كلّها تكتّلات سياسية تحمل هموما وآلاما دموية وعرقية أكثر من اهتمامها بالدّين الحنيف بعيدة عن روح الإسلام، وخلال هذه الظروف شهد تراثنا الإسلامي في شتى أشكاله أحداثا أليمة مستهدفة إياه وخصوصا ما اصطنعته عصابة الاحتلال في الغزو الفكري من طواغيت ثلاثة متمثّلة في الاستشراقية، والعلمانية، والاستغرابية، وأشدّها غزاء وأنكاها بلاء هذه الصهيونية منذ ربتها خنجرة مسمومة في حلاقيم المسلمين، ومعول هدم مقدّساتهم، وعدّة طمس معالمهم وشعائرهم.

ومن ثمّ انكبّ المسلمون على النماذج القديمة وخاصة العصر العباسي عاكفين على دراستها وشرحها والتعليق عليها، ووضعوا أدبا يواكب روح القديم التي حاولوا تقليدها واحتذاءها، ثم استنبطوا منها قواعد، وفعلا خلقت هذه الظروف للأدب العربي ما يقارب نزعات كلاسيكية، ورومانتيكية، وواقعية، ورمزية، وما يتلو ذلك من مؤثّرات ذات صلة قوية بمسيرة الأدب.

ثمّ ظهرت اتجاهات عدّة أشهرها: مدرسة البارودي، والديوان، وأبولو، والمهجر، والسلفية، على نحو ما حدث لأبناء أوربا في التراث الهيلني، غير أنّ هذه الاتجاهات لم تتضح معالم أكثرها، ولم تحكمها وحدة، ولا منهجية دقيقة تتجه أهدافها ومقاصدها إلى قضايا الإسلام إلاّ ما عرف عن أمثال شوقي، وحافظ، والرصافي، والزهاوي، وعلال الفاسي، وأحمد محرم، وأحمد رفيق المهدوي، وغيرهم من أولي أصوات عالية أنصفت الإسلام ومقاصده الجليلة، إلاّ أنّهم كانوا في غالب أمرهم على حدود فردية، أو إقليمية، ومن هنا

---

(1) وهي الحدود الجغرافية أشد مساحة وسعة للأمة الإسلامية، تنطلق من أقصى الشرق إلى أعلى الغرب، وتمكن البلاغيون من استغلالها وتوفيتها، إذ عاش الإمام عبد القاهر الجرجاني في عليا فرغانة، وابن سنان في وسطها، وابن رشيق في دنياها.

اقتضى الأمر العودة إلى تصوّر موقف عام تتلاقى فيه الأهواء والشيع ، وتتحد فيه الأفهام والأحلام ، وتعبر عن العواطف والمشاعر والعزائم الإسلامية . وبذلك يرقى أدب هذه الأمة ، ويستردّ مكانته ، ولا يزال تراثهم يمكنهم من دور القيادة والزعامة .

وشاء الله تعالى أن تتمخض هذه الصحوة الأدبية المجيدة على يدي الشاعر الإسلامي محمّد إقبال الذي لاحظ أنّ الاختلافات والنزعات الجانبية قد أضاعت على المسلمين جهودهم ، وألزم القادة من مفكرين وسياسيين وأدباء أن يبثّوا اليقظة في الأمّة ، وأن يزيلوا حواجز مصطنعة بينهم ، وكان بحقّ أبا هذه الفكرة بدون منازع حيث استلهم الإسلام لا في وضع فلسفته المشهورة فقط ، بل كان شعره وعاء لما آمن به ، ودعا إليه في صدق وحرارة ، ولم يحظ شاعر ، أو فيلسوف مسلم بشهرة تضارع شاعرنا الكبير في هذا العصر .

وعلى هذا انطلق أولو الوعي والسعي ، ووضعُوا خططا حكيمة ، وراعوا في ذلك ظروفا مناسبة ، يقول المرحوم الشيخ أبو الحسن علي الندوي :

انعكس الوضع في العالم الإسلامي منذ عهد الاستعمار الغربي ، ولم يشاهد الشاعر المسلم إلاّ هزائم ونكسات ، وأعمال خيانة وغدر ، وجفاء الإخوان والأصدقاء ، وشماتة الأعداء ، ومات الضمير الإنساني ، فلم يقم لهؤلاء البؤساء ، ولم يشعر بمعاناتهم أدعياء الأدب والشعر والعاطفة الإنسانية ؛ لأنهم في شغل شاغل ، وقد فقدوا الإبداع ، والإنشاء ، واختاروا النقل ، والاتباع ، وإمتاع النفس بمناهج الحياة ، وفقدوا العاطفة والشعور ، والصلة بتلك الأسرة التي ولدوا فيها ، ولكن الشاعر المسلم شاعر الحياة ، شاعر العاطفة الإنسانية ، شاعر الرباط الروحي ، يتألم بتألم الإنسان ، ويحنّ إلى بلده الذي يحبّه ، ويحلم بخروجه من مأزقه ، إنّه يتألم على مصير الإنسانية ، ويرفع صوته لنجدته ، ويحاول أن يؤلّف الشمل المبدّد لأمّته[1] .

---

(1) أبو الحسن الندوي ، مقدمة الشعر الإسلامي الحديث ، ص: ١٠.

ومن هذا المنطلق فإنّ الأدب الإسلامي على لسان الندوي (قدس الله روحه) يعني نهضة واسعة النطاق أتت نتيجة مقدّمات يقينيّة صحيحة منذ أن حلّت نكبة الاستعمار بالبلاد المسلمة ، وانتشرت سمومها في جميع ديارها ، وأخذت سطوتها أقطار قلوب كلّ شعوبها يلقى هذه الفتن المتكاثرة الشاعر الإسلامي في كلّ مكان على صور وأشكال متنوّعة،تثير بأثقالها في نفسه هموما وأحزانا، وأشدّ عزائه أن يجفو الأصدقاء ، ويشمت الأعداء على مرأى ومسمع ، وإذا التجأ إلى من يتوسّم الخير منهم للنجدة والإغاثة وجدهم أشد عداوة ونكرانا للجميل ، بل كانوا حربا شعواء ؛ لأنّهم تناسوا انتماءهم الروحي ، وتقطّعوا إلى غير أرضهم التي ولدوا فيها وآثروا ما يكبرونه في الأدب الأجنبي الغريب على الأصيل الأليف ، وفعالهم هذا شائع إلا أنّ المخلصين من الإسلاميّين كانوا يطوون كيف يضمدون الجروح ، ويشفون الكلم بما أهمهم من شعور وعاطفة ، وما ركّبه الله فيهم من قيم ، ومثل ، ولهذا ، فإنّ هذا الاتجاه الجديد ردّ فعل إيجابي جميل لإنصاف المنكوبين المستضعفين ، وبثّ الأمل في نفوسهم على أيدي البيانيّين والفنّانين المسلمين لا لتحقيق آمال المسلمين فقط ، بل لكلّ من يعاني النكسة ، والظلم ، والذل ، استردادا لحقوقهم من كلّ غاصب وناهب ، وقد استعمل المولى جلّ شأنه عليها أدباء إسلاميّين ، فجاء إبداعهم نورا وهاجاً يحدث صحوة أدبية مجيدة من خواطر علماء ، وشعراء ، وفنانين ، ونقاد ، للتحرّر من كافة أشكال الاتباعية ، والعبودية ، والاستغلالية التي يمارسها الاستعمار وأعوانه ، إذ لم يخلق الله المؤمنين رهن إشارة كلّ ناعق وناهق ، بل ليقودوا ويسيروا الحياة إلى السعادة ، فلا بأس إذا عرفوا بأُباة الضيم والظلم ، وبناء على هذا الأساس القوي ، فإنّ الأدب الإسلامي يتميّز عملاقا عظيماً يخوض معارك الحياة ليظفر بها ، ويزيل كلّ ما يؤدي معنى الخسف والعلوّ والاستكبار من قبل الطواغيت الذين يصطنعون لأنفسهم ما يعلي شئونهم ، ويرفع أقدارهم ، ويذيع مفاخرهم ، ويلبسهم فضفاضة من الإجلال والمهابة ، للاستخفاف بحقوق المنكوبين ، وإقصائهم عن نعمة الحياة ، وسعادتها .

وهو يتمتّع بروح الرسالة لمن سالم الإنسانية ، واحترم حقوق الفرد والجماعة كما يبتغي ذلك لنفسه ، أقامه البديع جلّ وعلا على أسس حكيمة من المنطق السليم الهادي الرزين ، لتحقيق الغايات المثلى من حبّ ، وفضيلة ، وخير ، بلا حدود مكانية ، وزمانية ، إذ لا ينفك هدى الله منذ يوم اختار لحمله دعاة مخلصين إلى الناس كافة ، يتعاقب على أمانته صفوة بعد صفوة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وهو خير الوارثين .

وعاد في حاضر الإسلام فكرة من الشاعر الإسلامي محمّد إقبال ، فعمل على يدي سماحة الشيخ أبي الحسن علي الندوي ـ رحمة الله عليه ـ عندما اختير عضوا للمجمع العلمي في دمشق ، وقدّم بحثا دعا فيه إلى إقامة منهج أدب إسلامي ، ثمّ القطبين سيد ـ رحمه الله ـ في كتابه : « التاريخ فكرة ومنهج » ، ومحمّد ـ رحمة الله عليه ـ في كتابه : « منهج الفنّ الإسلامي » ، ثمّ نجيب الكيلاني صاحب « المذاهب الأدبية الإسلامية » ، وخطا به خطوة واسعة عماد الدّين خليل حين نشر كتابه : « في النقد الإسلامي المعاصر » ، وفي ظلّ تلك الظروف وما إليها مجتمعة نشأ هذا المنهج وخاصة عام ١٤٠٢هـ/١٩٨١م، عندما عقدت الندوة العالمية له تحت رعاية المرحوم الندوي في « لكهنو بالهند » ولبى نداءه عدد كبير من أعلام الأدب الإسلامي ، واتّخذت توصيات بناءة تضمن إقامة رابطة الأدب الإسلامي ، فجاء إعلان ذلك ، ووضع له النظام الأساسي[1] .

ثمّ لقي هذا الاتجاه عناية متزايدة في ندوة الحوار بالجامعة الإسلامية في المدينة المنوّرة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ، وما تمخض عنها من اهتمام في ندوة جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلامية ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ، كان ذلك أكبر رعاية له على يدي الأستاذ الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي إبان عهده مديرا للجامعة ، حين قرّر له في كلية اللغة العربية ، قسم « البلاغة ومنهج

---

(1) هيئة الأدب الإسلامي العالمية ، التعريف برابطة الأدب الإسلامي ، ص: ٢-٩.

الأدب الإسلامي» ، واقتدى به الآخرون داخل الجامعات السعودية وخارجها ، وأقبل عليه طلاب العلم خصوصا في المراحل العليا إقبالا شديدا ، وكتبت ونشرت حوله رسائل، وبحوث تتطق بالأصالة والجدارة والعمق عن المنهج[1]، خصوصا عندما أخرج في أحضان هذه الجامعة المرحوم الدكتور عبد الرحمن رأفت باشا كتابَه وحدّد فيه خصائص هذا الأدب بما يلي :

أولها : إنّه أدب غنائي هادف خلافا لمذهب الفن للفن ، وإنما يجعله وسيلة إلى الغاية .

ثانيها : إنّه ملتزم ، ولكن هذا مغاير للشيوعيّين والوجوديّين اللذين يضعان حواجز في حرية الأديب .

ثالثها : أدب ذو أصالة ممتدّة من جذور وتراث هذه الأمّة عبر عصورها الزاهية .

رابعها : التكامل بين الشكل والمضمون ، ولا يؤثر أحدهما على الآخر .

خامسها : الاستقلال ، وهو إنقاذ لأهله من مهالك المهلكين من شراة الضمائر ، والشعوب .

سادسها : أدب فعال يفرز في نفوس أهله الإبداع والخلق[2].

وكذلك أنشأت الرابطة مجلة تنشر مقالاتها وبحوثها خدمة لمبادئها ، ودعوة إليها ، وبهذا انطلق المنهج من حيز الفكرة إلى حيز الواقع ، وقد ازداد تطوّراً ورقيا عندما أقيمت لها مكاتب عدّة في الوطن العربي والإسلامي ، ولا يزال أعضاؤه يعملون بجد ومثابرة على إعادة عزة الإسلام وكرامته في القول الجميل .

---

(1) الدكتور عبد الله بن المحسن التركي ، الأدب الإسلامي المنهج والوظيفة ، بحوث ندوة الأدب الإسلامي من إصدارات المهرجان الوطني للتراث والثقافة ، مطابع الدرعيّة ، السعودية ، عام ١٤٠٩هـ ، ص: ٣-١٣.

(2) الدكتور عبد الرحمن رأفت باشا ، نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد ، مطبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، ص: ١١٦، ١١٧.

تلك هي مقوّمات الأدب الإسلامي كما صاغها أصحابها ، وهي صورة واضحة تعكس ما كانت عليه الحياة الأدبية في صدر الإسلام ، وما يليه من عهود جليلة من حيث التبشير بالعقيدة ، والفضيلة ، والخير والسعادة ، ومقاومة الكفر والوثنية ، وتحريض الجنود المسلمين والإشادة ببطولتهم ، ووصف ما لهم من نعم الجنة ، وتهديد المتقاعسين لما في الجبن والخور والاستكانة من ويلات النار من خزي وعار ، وما يقوم به من بيان عظمة القرآن والسنّة المطهّرة والتنويه ببلاغتهما وفصاحتهما لرسم الحياة الكريمة من عدالة ورحمة ورخاء ، على نحو ما تتساوى في ظلالها الطبقات والأجناس .

فإذا اقتبس الأدباء الإسلاميّون المعاصرون من هذه الأصول التي تمتدّ إلى العصور القديمة ، فإنّ لهم أسوة حسنة بكثير من رواد الثقافة الإسلامية من معتقدين وفقهاء وسلوكيّين ونحاة وبيانيّين ممن شقّوا قواعدهم ومناهجهم من مجالات واسعة لقياس جديد محدث من قديم ، على نحو ما يمكنهم من ملاحقة ركب الحضارة الإنسانية المستجدة في زمانهم ، فوضعوا دعائم محكمة المباني ، قويّة الأركان ، فإذا تأثّر أولئك القائمون على الأدب الإسلامي باتجاهات غربية ، فإنّ لهم قدوة حسنة بالسادة الكرام من أئمة الفكر الذين يبرّر مهمتهم ابن تيمية قائلاً :

فإذا عرفت المعاني التي يقصدونها بأمثال هذه العبارات ، ووزنت بالكتاب والسنة ، بحيث يثبت الحقّ الذي أثبته الكتاب والسنة ، وينفي الباطل الذي نفاه الكتاب والسنة ، كان ذلك هو الحقّ ، بخلاف ما سلكه أهل الأهواء من التكلّم بهذه الألفاظ نفيا وإثباتا في الوسائل والمسائل من غير بيان التفصيل والتقسيم ، الذي هو من الصراط المستقيم ، وهذا من مشارات الشبه . فأما إذا عرفت المعاني الصحيحة الثابتة بالكتاب والسنة وعبر عنها لمن يفهم بهذه الألفاظ ليتبين ما وافق الحقّ من معاني هؤلاء وما خالفه فهذا عظيم المنفعة ، وهو من الحكم بالكتاب بين الناس فيما اختلفوا فيه[1] .

---

(1) ابن تيمية ، درة تعارض العقل والنقل ، تحقيق دكتور محمد مرشد ، منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، ص: ٤٦ .

كان ذلك حقّا قصد الأدباء الإسلاميين وغايتهم ، إذ لم يعنوا إدخال نظريات واتجاهات غربية زائفة في أصول الإسلام ودلائل شرعه ، ولا في فروعه نفيا وإثباتا ، ومن ثمّ يغدو الأدب الإسلامي أثارة علم الماضي ، ولسان الحال الراهن ، وأمل الغد لبناء الحاضر وصالح المستقبل ، فهو يعبر عن الأصول المشتركة من وحدة الوجدان والمشاعر والأحاسيس الإنسانية ، ملتزما تصوّرات هذا الدّين الحنيف التي كوّنتها العقيدة الرشيدة والشريعة العادلة ذات الفطرة السمحة التي يتمّ عليها بناء المجتمع الفاضل على أسس من قيم ومثل ، قال عزّ من قائل :

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

(الروم: ٣٠).

* * *